﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾ [الملك: 16 - 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الانتقالُ مِنَ التَّرغيبِ بالامتنانِ إلى التّرهيبِ بالتَّهديد

لمّا بيَّن الله تعالى أنَّ استقرار الخَلق وسلامتَهُم في الأرض إنَّما هو بفضلِه ورحمته، ولو شاء؛ لقَلَبَ عليهم نِعْمَتَها نقمةً، فكان هذا ترغيبًا لهم في العبادةِ والتَّوحيد؛ ناسَب أن يتمّم هذا البيانَ بالتّرهيب والإنذار، فجاء التَّهديد للمكذِّبين بعذابٍ عاجلٍ دونَ عذاب جهنَّم، مبيِّنًا بطلانَ شعورِهم بالأمان، بعدَما أُقيم البرهانُ على أنَّ الملك بيدِه وحدَهُ، وأنَّه قادرٌ على إنزال العقوبة بجُنودِهِ أو بغَيْرِ سببٍ ظاهِر، فجاء التَّقرير بحقيقة افتقار الإنسانِ وضَعْفِه، وأنَّه لا ملجأ له مِن عذاب الله تَعالى ولا واقيَ لَهُ منه، وهكذا انتقل السّياقُ من بيان النِّعمة والاستدلال بها إلى إيقاظ القلوبِ بالتَّخويف والإنذار؛ إذْ ثبَتَ أنَّ الله تَعالى خالقُ الأرض ومُسخِّرُها، وثبَتَ أنَّهم قصَّروا في شُكْرِه، فاستحقّوا غضبَهُ وعِقابَهُ، حتّى ينقلبَ مَشْيُهُم على ظاهِرِ الأرض إلى غَوْصٍ واضطرابٍ في أعْماقِها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخۡسِفَ﴾: أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على غُموضٍ وغُؤورٍ، وإليهِ تَرجِعُ فُروعُ البابِ، فالخَسْفُ: غُموضُ ظاهِرِ الأرْضِ[2]، والخَسْفُ: زِلْزالٌ شَديدٌ تَنْشَقُّ بِهِ الأرْضُ، فتَحْدُثُ بِانشِقاقِها هوَّةٌ عَظيمَةٌ تَسْقُطُ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 591، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 247، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 33.

(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خسف).

فيها الدّيارُ والنّاسُ، ثُمَّ تَنْغَلِقُ الأرْضُ على ما دَخَلَ فيها، والخَسْفُ: سُؤوخُ الأرض بما عليها، تقول: انْخَسَف به الأرض، وخَسَف اللّهُ به الأرض[1]، والخَسْفُ في الآية: انقلابُ ظاهرِ الأرضِ في باطنِها مِنَ الزِّلزالِ، أي: يُغَيِّبكم فيها[2].

2) ﴿تَمُورُ﴾: تَدورُ، وتتحَرَّكُ، والجذرُ اللّغويُّ منه: (مور) وهو دالٌّ على التّردُّد، يقال: مارَ يمورُ مَوْرًا، ومعنى المَوْر: التَّردُّدُ وعدمُ الاستقرار، يُقال: البعير يمورُ عَضُداه؛ إذا تردَّدا في عرض جَنبَيه، والطَّعنةُ تمورُ؛ إذا مالَت يمينًا أو شمالًا، والدِّماءُ تمورُ في وجهِ الأرضِ؛ إذا انصبّت، فتردّدت[3]، والمعنى هُنا: تَدورُ، وتَضطَرِبُ، وتتحَرَّكُ ذهابًا ومجيئًا على خلاف ما كانت عليه من الذُّلِّ والاطمئنان[4].

3) ﴿حَاصِبًا﴾: حِجارةً أو ريحًا عاصِفًا تَرمي بالحَصْباءِ، وهي الحَصَى الصِّغارُ، وأصلُ (حصب): يدُلُّ على الرَّمي، يُقالُ: حَصَبْتُ الرَّجُلَ بِالحَصْباءِ، وريحٌ حاصِبٌ؛ إذا أتَتْ بِالغُبارِ، والمعنى هنا: (ريحًا تَحْصِبُهم بالحجارة)[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تهديدُ الكافرين بعذابِ الخَسْفِ والرَّجم تهديدٌ غيرُ مسبوقٍ

يقول اللّهُ تعالى مهدِّدًا الجاحدينَ ممَّن استمرَّ في طُغيانِه وكفرِه: هل أمِنتُم - أيّها المُعْرِضون - مِن عذاب اللّه تَعالى الَّذي علا، وارتفع فوقَ سماواتِه، أن يَخْسِفَ بِكُم الأرضَ جزاءَ كُفْرِكُم، فإذا بها تهتَزُّ، وتَضطَرِبُ بكم؟ أم أمِنْتُم اللّهَ الَّذي في العُلوِّ فوقَ السَّماءِ أن يُرسل عليكم حجارةً من السَّماء يَرميكم بها؟ وحين يقع ذلك سَتُدْرِكون حقًّا صدقَ إنذاري، وعاقبة مَن أعرض عن هُدايَ، وكذَّب بِرُسُلي[6].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خسف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خسف)، والكفويّ، الكُلّيّات، ص: 771.
(3) الخليل، العين، ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مور).
(4) الآلوسي، روح البيان: 10/ 90، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 37.
(5) العليميّ، فتح الرَّحمن: 7/ 114، والمظهريّ، التَّفسير المظهريّ: 10/ 25.
(6) القِنَّوْجيّ، فتح البيان: 14/ 240، والسَّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 877.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

غرَضُ الاستِفهامِ وبلاغَتُه:

الإنـكـارُ عَـلى المُشْركين وتوبيخُ المُـعْـرِضـين، وهُم في مَعْرِض العذابِ المُهين

توجَّهَ الخِطابُ في قولِه تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ إلى الكُفّار بأسلوبِ الاستفهامِ الإنكاريِّ الَّذي غرضُه التَّوبيخُ والتَّخويفُ والتَّعجيبُ من حالِهم[1]؛ إذْ كيفَ يأمَنون مع كفرهم، وهم مُعرَّضون لأنْ يخسِفَ الأرضَ بهم، فإذا هي تضطرب، وتتحرَّك بشدَّة؟ فالآية جاءت لتُذكّرهم بقدرة اللّهِ تَعالى القاهرة، فجاء الاستفهامُ هُنا على سبيل الإنكار على الكُفّار لسوءِ اعْتِقادِهم، وتوبيخهم وتقريعهم لِما هُم عليه مِن الشُّعور بالأمن، وقد عَصَوا، وأشركوا مَن بيَدِه الأمْرُ كلُّه[2].

نكتَةُ التَّعبير بالاسمِ المَوصولِ:

تفخيمُ سُلْطانِ اللـهِ تَـعـالى وتَعظيمُ قُدْرَتِه

المراد بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو اللّهُ ﷻ[3]، بدليل قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: 66 - 69][4]، والاسم الموصولُ في ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وُضع مقام المُضْمَر (أأمنتموه)؛ لأنَّ الإتيان بالموصول لِما تُؤذِنُ به الصِّلةُ مِن عظيم سلطان اللّه تَعالى وتصرُّفه في العالَم العلويِّ، الَّذي هو

(1) نصر السَّمرقنديّ، تفسير السَّمرقنديّ: 3/ 476، وابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 19/ 249.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 33، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 35.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 513.
(4) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 173.

مصدر القوى والعناصر وعجائِب المخلوقات، والمقصود مِن ذلك تفخيمُ قدرة اللّه تَعالى وتعظيمُ شأنِهِ، فالمقصودُ مِن الموصول تفخيمُ سُلْطانِ اللّهِ تَعالى وتعظيمُ قُدْرَتِه[1].

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتُها:

علوُّ اللهِ تَعالى على خَلْقِه عُلوًّا مُطْلَقًا

﴿فِي﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ حرفُ جرٍّ بمعنى: (على)، فمعنى: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من على السَّماء، وقد دلَّ على هذا الأخبارُ من الكتاب العزيز والسُّنَّة المشرَّفةِ الدّالَّةُ على علوِّ اللّهِ تَعالى على خَلْقِهِ علوًّا مطلقًا[2].

دلالَةُ إفْراد لَفْظِ السَّماء:

التَّهديد آتٍ مِن سماءٍ واحدةٍ مرئيَّة

أُفرِد ذِكْرُ السَّماء في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأنَّ الوعيد بالخَسْفِ نازلٌ وجاءٍ من جهة السّماء الَّتي يراها النّاسُ سماءً واحدة، ودلَّ الإفرادُ على قُرْبِ السَّماء الَّتي يراها النّاسُ، والقربُ أشدُّ في التّهديد والوعيدِ.

نكتَةُ التَّعبير بـ(أنْ) المصدريَّةِ والفعلِ المُضارع:

التّهديدُ بالخَسْفِ قائمٌ متجدِّدٌ لمَن فَهِمَ عَنِ اللهِ تَعالى مرادَه

آثر النَّظم الكريمُ التَّعبير بالمَصْدَرِ المُؤَوَّل من ﴿أَن﴾ والفعل المضارع ﴿يَخْسِفَ﴾؛ وذلك لِلَفْتِ الأنظار إلى عُنْصر التَّهديد المستمرِّ، فالخسفُ قد يقَعُ في أيِّ لحظةٍ، ويُصيب العباد، وهو بدلُ اشتمالٍ مِنَ الاسم الموصول؛ إذ إنَّ الخَسْفَ فعلٌ داخلٌ في فعلِه ومِن شأنه، ويجوز نصبُه على نزع الخافضِ أيضًا، والأصل: (مِن أن يَخْسِف)، وحُذف حرفُ الجَرِّ (من)، وهو حذف شائعٌ مَعَ (أن) في أسلوبِ العرَبِ، وفي ذلك إيجازٌ بليغٌ يزيد المعنى قوَّة[3]، وفيهِ أيضًا توبيخٌ للمشركين على سوء تعامُلِهم مع ربِّهم، وكأنَّهم

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 33.
(2) حافظ حكمي، معارج القبول: 1/ 198.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 34.

في غفلَةٍ أو أمْنٍ مِن أن يأمُر اللّهُ تعالى بخَسْفِ الأرض بهِم عقوبةً على كُفْرِهِم[1].

علَّةُ تقديمِ ذِكْرِ الخَسْفِ على الحاصِبِ:

الابتداءُ بالأقْرَبِ مكانًا والأكثرِ أمانًا

قُدِّم ذِكرُ الخَسْفِ على الحاصِب؛ لأنَّ الخسفَ مرتبطٌ بأحوال الأرض، والحديث قبلَ ذلك كان عن تَذْليلِها وتمكين النّاس مِن العَيْشِ فيها، فناسَب أن يُذْكَرَ أوَّلًا، فلمّا سبَق ذِكرُ نعمةِ اللّه تعالى عليهم في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾، واستقرَّت هذه النِّعمةُ في أذهانِهِم، وهم يتقلّبون فيها، ويَنْتَفِعون بخيراتها حاضرين في حالِ الخِطاب؛ كان الأنسبُ في بابِ المَوْعِظَةِ أن يُذكَّروا بِما قَد يُصيبُهُم مِنَ العقوبة المتعلّقة بها نَفْسِها، وهي خسفُ الأرض مِن تَحْتِ أقدامِهِم؛ حتّى يُخيَّل إليهم أنّ العقابَ يَخْرُج من ذات الأرض الَّتي مُتِّعوا بها، لا مِن أمْرٍ بعيدٍ عنها[2]، فالأرض أقربُ إلى الإنسان من السَّماء البعيدةِ عنه، فهي موضع إقامتِهِ ومصدَرُ رِزْقِه، ومع ذلك اتَّخذها مقرًّا لعبادةِ غيرِ اللّه تَعالى[3]، ثُمَّ جاء التَّهديد بإرسال الحاصِب من السَّماء جزاءً على كفرهم بنعمة اللّه تَعالى، الَّتي بثّها لهم في هذه الأرض الممكَّنة للسَّعي، فالمعنى: هذه الأرضُ الَّتي جَعَلَتْها لكُم قرارًا، وذلَّلَتْها لَكُم، لو شئتُ؛ لأمرتُها أن تميدَ بكم، أو تَبْتَلِعَكُم، فمَن الَّذي يُمْسِكُها، ويحفَظُ وُجودَكُم عليها غيري[4]؟.

نوعُ الباءِ ودلالَتُها:

المقصودُ بالخَسْفِ أصالةً المكذِّبون المُعرضون

الباء في قوله تعالى: ﴿بِكُمُ﴾ جاءت للمُصاحبةِ، أي: إنَّ الخَسْفَ واقع على الأرض مقترنًا بوجودِهِم فيها، وفي ذلك تهويلٌ للوعيدِ،

(1) دروزة، التَّفسير الحديث: 5/ 380، ومحمد جمال، التَّفسير الفريد: 8/ 3147.
(2) الغرناطيّ، ملاك التَّأويل: 2/ 479.
(3) زكريا الأنصاريّ، فتح الرَّحمن: 1/ 307، وعطيّة الأجهوري، إرشاد الرَّحمن: 2/ 724.
(4) ابن عادل، اللّباب: 19/ 246، والخطيب، التَّفسير القرآنيّ: 15/ 1062.

فَهو انقلابٌ واضطرابٌ للأرض الَّتي يَطْمَئِنّون إليها، ويأمَنونَ فيها، وهذا أبلَغُ في التَّوبيخ والتَّحذير[1]، وفي الباء مَعْنى السَّببيَّة، فإنَّ الخسفَ كان بسببِهم عقابًا على تكذيبهم وإعراضِهم، فالخسفُ إنْ وقَعَ؛ أصابَهُم قصدًا لا عَرَضًا، وأصالةً لا تبعًا، وهذا أشدُّ في الوعيدِ.

معنى تَعْريفِ لَفْظِ ﴿ٱلْأَرْضَ﴾:

الأرض المأمونُ جانِبُها مِنْها يأتي الخَسْفُ

التَّعريف في كلمة الأرضِ للعَهْدِ العلميِّ، والمُراد به الأرضُ الَّتي يَقْطُنُها المُخاطَبون، ويستقرّون عليها في حَياتِهم ومَعايِشِهم[2]، وذِكْرُها معرفةً يُشْعِرُ بتَمام التَّهديد والتَّخويف؛ إذْ ليسَ المَقصودُ أرضًا مجهولةً أو بعيدة، بل هذه الأرض الَّتي يَعْرِفونَها، ويأمَنون جانِبَها، ويَطْمَئِنّون لرُسوخها، فإذا بها بقدرةِ الله تَعالى تتحوَّل مِن قرارٍ وأمانٍ إلى خسفٍ واضطرابٍ.

بديعُ الطِّباق في لفْظَيِ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ و﴿ٱلْأَرْضَ﴾:

شمولُ قُدرة الله تعالى وسلطانه في العالَم العلويّ والسُّفليّ

يظهَرُ البديعُ في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾، بذِكْرِ السَّماء والأرض على سبيل الطِّباق؛ إذْ جُمِع بين أعلى الجهاتِ وأدْناها؛ للدَّلالة على شمول قُدرة الله تعالى وسُلطانه في العالَم العلويِّ والسُّفليّ، ولزيادة تقريرِ المَعْنى في النُّفوس؛ تقويةً للتَّهديد والتَّحذير بذِكْرِ الطَّرفين المُتقابِلَيْن.

نوعُ الفاءِ ودَلالَتُها:

المَوْر نتيجةُ الخَسْفِ وما بينَهُما مَحْقٌ ونَسْفٌ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ جاءت للتَّفريع، أي: تفريع المَوْرِ على الخَسْفِ؛ لأنَّ المَوْرَ نتيجةٌ حتميَّةٌ مُترتِّبةٌ عليه، فجُعل اهتزازُ الأرض واضطرابُها أثرًا مُلازمًا للخَسْف المهدَّد به، وسِرُّ العطف بالفاءِ هُنا أنَّها أفادت سُرعةَ التَّلازم والمُفاجأة، وكأنَّ المَوْرَ يقع مُباشرةً عَقِبَ الخسْفِ بلا فاصِلٍ، ولهذا عُبِّر بعدها بـ (إذا)

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 34.
(2) الفرماويّ، السَّهل المُفيد: 3/ 472.

الفُجائيَّة الَّتي توحي بحصولِ الأمْرِ دفعةً واحدة، فصارت صورةُ التَّهديد كأنَّها مشهَدٌ واقِعٌ يَراهُ السّامع أمامه، لا مُجرَّد أمرٍ مُستقبليٍّ مُحتمَلٍ، وذلك أبلغُ في التَّخويف والإنذارِ[1].

دلالَةُ التَّعبير بـ (إذا) الفجائيَّة:

المُفاجأةُ عُنْصرٌ نفسيٌّ يقَعُ عندَ الحدَثِ المُذْهِلِ

جاء التَّعبيرُ بـ (إذا) الفجائيَّة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ لأنَّ الخَسْفَ إذا وقع؛ لَزِمَ عنه الاضطرابُ والاهتزازُ مُباشرةً، فجاءت (إذا) لتُفيد المُفاجأةَ والسُّرعةَ، وكأنَّ المَوْرَ أمرٌ حاضِرٌ مُشاهَدٌ يقَعُ في الحال لا في الاستقبال، وهذا الأسلوبُ يُصوِّر التَّهديد في صورة الواقع المَلْموس، ويجعل التَّخويف أبلغَ وأشدَّ تأثيرًا؛ لأنَّ الكلام نَزَّلَ الخَسْفَ واقعًا مُحقَّقًا وقوعُهُ لا مُتوقَّعًا[2]، ونكتةُ الفُجاءَةِ هو ما يقَعُ في نُفوس البَشَر، كيف تمور الأرضُ الَّتي سكنّاها، ومكثْنا فوقَها آمنين؟ فاستِحالة توقُّع الخَسْف؛ جَعَلَ المَوْرَ أمرًا مفاجئًا.

بلاغَةُ استِعمالِ مفردَةِ ﴿تَمُورُ﴾:

إدراكُ نُـزول الـعـقـوبـةِ ومشاهدةُ آثارِها أشـدُّ مِـنَ الأخذ السَّريع

آثر النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مُفْرَدَةِ المَوْرِ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ دون (تميل)؛ ذلك أنَّ المَوْرَ هو الاضطراب الشَّديد المُتكرِّر، والذَّهاب والمجيءُ بلا استقرارٍ، يُقال: مارَ الشَّيءُ مَوْرًا؛ إذا اضْطَربَ، وارتجّ، ومن هُنا جاء التَّعبير بالفَعْلِ ﴿تَمُورُ﴾؛ إذْ يُصوِّر حالَ الأرض، إذا خُسِفَ بها، فهي تَضْطَرِبُ بِمَن عليها، وتدور بهم كَما يدورُ الماء بمَن يغرَق فيه[3]، والمَوْرُ حركةٌ مقصودةٌ موصِلةٌ إلى الغايَةِ الَّتي لأجْلِها وقَعَ الخَسْفُ، وهو إنزالُ العقوبة بالمُكذِّبين شيئًا فشيئًا بحيث يُدرك النّاسُ ما نزَل بِهِم.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 34، 35، والدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 52.
(2) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 37، والدُّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 52.
(3) الطَّبرانيّ، التَّفسير الكبير: 6/ 315، والقُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 216، والطَّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 20.

بلاغَةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ:

كمالُ التّهديدِ تحقيقُ الوعيدِ في نفوس العبيدِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ شُبِّه الخَسْفُ المُتوقَّع المهدَّد به بحالِ خسفٍ قد وقع بالفعل، بجامع التَّحقُّق والوقوع الحتميِّ، وقد حُذِف المشبَّه به، وهو صورة الخسف الواقع، ورُمِز إليه بأثره، وهو المَوْرُ - بمعنى: الاضْطِرابِ الشَّديدِ والحركة المتردِّدة - فصار الكلامُ مِن باب الاستعارة المكنيَّة التَّمثيليَّة؛ إذ صوِّرت الأرضُ في حال الخَسْفِ تصويرًا حِسّيًّا يجعل المَشْهَدَ، وكأنَّه ماثِلٌ أمامَ السّامع[1].

بلاغَةُ الاستعارة في لفظ ﴿تَمُورُ﴾:

تصويرُ اضطرابِ الأرض وتشخيص حرَكَتِها بعاقلٍ يُعاقِب المُذنبين

يدلُّ لفظ ﴿تَمُورُ﴾ في الأصل على التَّردُّد في المجيء والذَّهاب المُتتابِع، فشُبِّه مَوْرُ الأرض عند الخَسْفِ بحالِ إنسانٍ مُضطربٍ مُتردِّدٍ في مِشْيَتِه، يذهَبُ، ويجيء في قلَقٍ وحركَةٍ لا تهدأ، ثُم استُعير لها الفعلُ ﴿تَمُورُ﴾ الدّالُّ على ذلك الاضطراب الشَّديد، ولَمّا كان هذا التّردُّدُ مستلزِمًا للاهتزاز والاضطراب؛ شُبِّهت حركة الأرض عند الخَسْفِ به، فجيء بلفظ ﴿تَمُورُ﴾ على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة الَّتي تزيدُ المشهدَ قوّةً وهولًا، وتوحي بشدَّة هذا الاضطراب، الَّذي يفقد معَهُ الإنسانُ توازُنَهُ وطُمأنينَتَهُ[2].

بلاغَةُ الإضْراب ونوعُه:

التّنويعُ في الوعيدِ دليلُ المُكْنَةِ والتّقريعِ بالتّهديد

العطف بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يُفيد الإضرابَ الانتقاليَّ، فهو إضرابٌ انتقاليٌّ مِن التَّهديد بالخسف إلى التَّهديد بإرسال حاصبٍ مِنَ السَّماء؛ تنويعًا في التَّهديد ومبالغةً في الوعيد؛ إذ انتقل السّياق مِن استفهامٍ إنكاريٍّ تَعْجيبيٍّ إلى استفهامٍ آخرَ مِن جِنْسِه، لكنْ معَ اختلاف الأثر النّاتج عن الفعل المُستفهَم عنه، وهو اختلافٌ يُبْرِزُ تباينَ حالِ الفِعْلَيْنِ رغم اتِّحادهما في الغاية[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 35.
(2) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 205.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 35، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 7، والدَّرويش، إعراب القرآن: 10/ 154.

توجيهُ المُتشابهِ اللَّفظيِّ:

المُناسبةُ السّياقيَّة أصلٌ في توجيهِ آياتِ المُتشابهِ اللَّفظيِّ

جاء تقديمُ الخَسْفِ على الحاصبِ في سورة الملك؛ وذلك لأنَّه سَبَقَها ذِكرُ نعمةِ تَذْليل الأرض لهُم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾؛ فكان الأنسَب أن يُعقِّب ذلك بالوعيد بالخَسْفِ من تلك الأرض نفسِها الَّتي أُذِلَّت لهم، فجاء التَّهديد بالخَسْف أوَّلًا، أمّا آية سورة الأنعام وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: 65]؛ فقد جاء في سِياقِها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61]، وهذا السّياق يَصْرِفُ الذِّهن إلى جهة العُلوِّ والقدرة القاهرة مِن فوق، فناسَب أن يُبدَأ بذِكْرِ العذابِ النّازل من السَّماء قبلَ العذاب الآتي مِن تحت الأقدام، فجاءَ التَّقديم والتَّأخير بناءً على المناسبة بين الآيات، وهكذا يُكَمِّل كُلُّ موضعٍ الآخرَ، ويظهرُ التَّناسبُ الدَّقيقُ بين السّياقين في ترتيبِ الوعيدِ[1].

دلالَةُ الإظْهار في مَوْضِعِ الإضْمارِ:

إبرازُ عظمةِ شأنِهِ ﷻ، وتفخيمُ قُدْرَتِه وتَصرُّفِه المُطلق في مَلكوتِهِ

الاسمُ الموصولُ ﴿مَّن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ جاء على سبيلِ الإظهارِ في موضعِ الإضمار؛ فلم يأتِ البيانُ القرآنيُّ: (أم أمنتموه)، كما في الضَّمائر العائدة على اللهِ تعالى في الآيات السّابقة، مثل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، وعُدل عن الضَّمير إلى الاسْم الموصول ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لِما فيه مِن إبرازِ عظمة شأنه ﷻ، وتفخيم قُدرته وتصرُّفِهِ المُطلَق في ملكوتِهِ؛ ليَكونَ أوقعَ في التَّهديد وأشدَّ في التَّخويف؛ فإنَّ سياقَ التّهديدِ قد يَستَدعي الإظهارَ؛ لإبرازِ اختلافِ نَوْعِ العذابِ.

(1) ابن جماعة، كشف المعاني، ص: 362، والغرناطيّ، ملاك التَّأويل: 2/ 479.

فائدَةُ تقييدِ فِعْلِ الإرسالِ:

التَّخصيص بالعذاب كالتّخصيص بالإكرامِ في قوَّتِهِ وأثَرِهِ

قُيِّد فعلُ الإرسالِ بالجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؛ لإفادة التَّخصيص والتَّوجيه المُباشر بالوعيد، أي: إنَّ العذابَ مُرسَلٌ مخصوصٌ بكم أيُّها المُشركون، واقعٌ عليكُم مُحيطٌ بكُم من فَوْقِكم، لا يُمْكِنُكُم دَفْعُه ولا النَّجاةُ منهُ[1].

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿حَاصِبًا﴾:

نُكِّرت كلمةُ ﴿حَاصِبًا﴾ للتَّهويل والتَّفخيم؛ إذْ أشْعَرَ التَّنكيرُ بشِدَّة العذاب وهَوْلِه، فالحاصب مجهولٌ على التَّحقيق، وشأنُ الإبهام زيادةُ التّهويلِ في سياقِ الوعيدِ.

نَوْعُ الفاءِ ودلالَتُها:

التَّفريع على الوعيدِ السّابق

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ تفريعٌ على الوعيد بإرسال حاصِبٍ من السّماء، أي: إذا أرسل حاصبًا؛ فحينئذٍ ستعلمون، فالعِلْمُ بيقينيَّةِ ما أخبَرَ بهِ النَّذيرُ تفريعٌ على التَّعذيب.

نكتَةُ استِعمالِ حَرْفِ التَّنفيس:

قربُ الوقوعِ وتحقُّق الوعدِ تهيئةٌ للنُّفوس

آثر النّظمُ الكريم استعمالَ حَرْفِ التَّنفيس (السّين)، في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ دون (سوف)؛ ليُفيدَ قربَ الوقوع وتحقُّقَ الوعد، فهو إنذارٌ عاجِلٌ بأنَّ العِلْمَ بحقيقةِ العَذاب حاصلٌ عن قريبٍ في الدُّنيا، ثُمَّ هو آتٍ لا محالةَ في الآخرة[2].

بلاغَةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّة:

تَشْبيهُ التَّهديد بالأمْرِ الواقِعِ

قول اللّهِ تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾، أي: فحينئذٍ سَتَعْلَمونَ عندَ مُعايَنَتِكُم للعذابِ كيفَ كان إنذاري لَكُم متحقَّقًا وواقعًا، وقد جاء حرف التَّنفيس (السّين) في ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾، وحَقُّه الدُّخولُ على الأخبارِ الَّتي ستقَعُ مستقبَلًا، وإرسالُ الحاصِب غيرُ مُخبَرٍ بحصولِهِ

(1) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان في روابي علوم القرآن: 30/ 37.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 249.

بعدُ، ولكنَّه تهديدٌ وتحذيرٌ مِن إرسالِه، فلمّا أُريد تحقيقُ هذا التَّهديد؛ شُبِّه بالأمر الَّذي وقَعَ، فكان تفريعُ صيغة الإخبار على هذا مؤذنًا بتشبيهِ المُهدَّد به بالأمر الواقع على سبيل الاستعارة التَّمثيليَّة، وجملة ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ قرينَتُها؛ لأنَّها من رَوادِف المُشَبَّه به[1].

بلاغَةُ الاستِفهام بالأداة ﴿كَيْفَ﴾:

خرجَ الاستفهامُ بـ ﴿كَيْفَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ عن معناهُ الأصليِّ إلى التَّهديد والتَّهويل، فهو ليس سؤالًا عن الحال، بل تصويرٌ بليغٌ لِشدَّة الإنذار وهوله، فجاءت ﴿كَيْفَ﴾؛ للدّلالة على أنَّ الإنذار سَيَظْهَرُ لَهُم في هيئةٍ مخصوصةٍ تبلغ الغايةَ في الإخافَةِ والزَّجر، أي: ستعلمونَ إنذاري على حالٍ مُروِّعةٍ عظيمةِ الأثر[2]، فعِلْمُهُم سيَقَعُ على الحال الَّتي آلَ إليها أمرُ الإنذار مِنَ الشِّدَّة المهولَةِ.

التَّصويرُ البليغُ لِشدَّة الإنذارِ وهَوْلِه

دلالَةُ التَّعبير بصيغَةِ (فعيل):

جاء لفظ ﴿نَذِيرِ﴾ على وزنِ (فعيل) الدّالِّ على المصدريَّة، فهو في أصلِه مصدَرٌ بمَعْنى الإنذار، وجَعْلُهُ اسْمَ مصدرٍ أقرَبُ؛ إذْ إنَّ مصدر الفعلِ أنذر: هوَ الإنذارُ، أمّا جعله اسْمَ مصدرٍ؛ فالمعنى أدقُّ وأوقع، ولا مانع كذلك من اعتبارِه اسْمَ مصدَرٍ للفِعْلِ المَزيد، كما في (سلام) بمعنى: التَّسليم[3]، وفي هذا ما يُفيد قوَّةَ الإنذار وشدَّتَه، مع ما في جعلِه اسْمَ مصدَرٍ من إشارةٍ إلى تحقُّق الوعيد ووقوعِه وقوعًا حتميًّا.

الدَّلالةُ على قوَّةِ الإنـذارِ وشدَّته والإشـارةُ إلى تحقُّق الوعيدِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإرسال والبَعْث:

يتقاربُ لفظا الإرسال والبعثِ في معنى التَّوجيه، وقد يُستعمل

الإرسـالُ توجيهٌ برسالةٍ وسلاسَةٍ وتُؤَدَةٍ، والبعثُ إثـارةٌ ودفـعٌ وإيقاظٌ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 35.
(2) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 205، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 35.
(3) القونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاوي: 19/ 205.

كُلٌّ منهما بمعنى الآخر[1]؛ إذْ أحدُ معاني الإرسالِ هو البَعْثُ[2]، وأحدُ معاني البعث هو الإرسال، إلّا أنَّهما يفترقان ببعض الملامِحِ المميّزة لكلٍّ منهما، ومن هذه الفروق: أنَّ الإرسالَ يتميّزُ بملمحِ الرِّفقِ والتُّؤَدةِ والسُّهولةِ؛ إذ إنَّ أصل (رسل) يدلُّ على الانبِعاثِ والامتِدادِ، والرَّسْلُ: السَّيْرُ السَّهْلُ[3]، والرِّسْل: الرِّفْق والتُّؤَدة، والإرْسالُ: الإطلاقُ، والإهمال، والتَّخْلِيَةُ، والتَّوجيه[4]، والإرْسال في المَحْبوسِ: إطلاقه، وفي المُطلقِ: بَعثُه[5].

في حين يتميّزُ البعثُ بملمحِ الإثارةِ والاندفاعِ والإيقاظِ؛ إذ إنَّ أصلَ (بعث) يدلُّ على الإثارة[6] والتَّوجيه، ويختلفُ البعثُ بحسَبِ اختلافِ ما عُلِّق به، فبَعَثْتُ البعيرَ: أثَرْتُهُ، وسيَّرته، وبعثَ اللّهُ تَعالى الموتى: أخْرَجَهُم، وسيَّرهم إلى القيامة، وبعثَ رسولًا: أرسله، ووجّهه[7]، وانْبعثَ الشَّيءُ: اندفعَ، وبعثهَ من نومِه: أيقظهُ، وأهَبَّه، والبَعْثُ: النُّشور[8].

والَّذي يَظْهَرُ في استعمالِ مفردة الإرسالِ في الآية: أنَّه لَمّا كان مِنَ السَّماء؛ لوحِظَ فيه معنى السُّهولة دونَ الإثارة، ويُلحَظُ كذلك أنّ الإرسالَ مِنَ السَّماء هو إرسالٌ مقصودٌ، وفيه رسالةٌ للعالَمين بأنَّ وعيدَهُم سيأتيهِم مِنَ السَّماء.

(1) الكفويّ، الكليّات، ص: 244.
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 151.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رسل).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (رسل).
(5) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النواظر، ص: 152.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بعث).
(7) الرّاغب، المفردات، ص: 132.
(8) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (بعث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"